

عرائس الشيطان: حكام يحركهم الغرب... وخلافة تتهيأ للنهوض



في ظلال ليل طويل، تتمايل دمى على مسرح السياسة، لا تنطق من تلقاء نفسها، ولا تتحرك إلا بإشارة خفية من يد لا تُرى؛ هم ليسوا قادة، بل عرائس معلقة بخيوط مشدودة من عواصم الغرب، ترقص حين يصفق الشيطان الأكبر، وتصمت حين يطلب منها الخضوع. تدعى الحكمة، وتظهر السيادة، لكنها في حقيقتها مستأجرة، معدومة القرار، مرهونة الإرادة للشيطان الأكبر؛ أمريكا، التي تسحق الشعوب وتنهب الثروات باسم الحرية.

أمريكا لم تعد ترسل جيوشاً، بل ترسل شروطاً، وقرضاً، وتحصيات، وأوامر. أما حكام المسلمين، فما هم إلا منفذون، أدوات تنفيذ لحطة أكبر من حدودهم. إلا أن الأكثر إيلاماً هو أن أمريكا لا تحكم بالحكم فقط، بل تمسك برقاب الشعوب من خالهم، فالحاكم مجرد موظف تحكم فيه شرعيته الدولية باعتبار أن أمريكا تملك التأثير الأكبر على المؤسسات الدولية (مثل الأمم المتحدة، صندوق النقد، مجلس الأمن)، فمتي ما أرادت، تبدأ حملات تشويه ضد الحكم فتنته بالديكتاتور والقمعي والفاشي، وهكذا، فتسحب منه الشرعية تدريجياً، وتعزله دولياً.

ناهيك عن تحديده بالعقوبات أو تجميد الأرصدة أو وقف الدعم الدولي، فالاقتصاد هو نقطة ضعف الأنظمة في بلادنا لأنها هشة ومعتمدة على الخارج، ومن ثم تستخدم أمريكا أقدر أدواتها في إحداث الفوضى، فهي تملك نفوذاً على الإعلام والنخب والمنظمات، وحتى الأجهزة الأمنية، فمتي أرادت تفجير أزمة داخلية أو مظاهرات أو تشجع انقلاباً عسكرياً ثم تبدأ بتلميع ودعم بديل له، فتلوح بدعم شخصية أخرى ربما من الجيش أو المعارضة أو من داخل العائلة الحاكمة، عندها يشعر الحكم أن وجوده صار مهدداً، فيسع بالطاعة وتقديم تنازلات أو ضخ أموال طائلة لأمريكا التي تعتمد هذا الأسلوب لإدراكها أن الحكم حين يهدّد، يسحر الدولة كلها لحمايتها كرسيه؛ فيقمع الشعب، ويرفع الأسعار، ويحول الإعلام لبوق غربي، ويطبع مع الاحتلال ويسيط كل من يعارضه، وهكذا، تصبح الشعوب رهائن لابتزاز خارجي، وأدوات لحماية النظام، وليس العكس.

فسيسي مصر جاء بانقلاب، ويعيش على دعم الغرب. صمت مطبق أمام الاحتلال، وتطبيع فعلي معه... أما ابن سلمان السعودية فأخرج كيان يهود من الظل إلى العلن، وصار أكثر المتحمسين للتطبيع معه، تحت ذريعة التحول والافتتاح... كذلك الأمر مع ابن زايد حاكم الإمارات عراب الثورات المضادة، داعم الانقلابات، وتمويل حملات تشويه كل فكر تحرري... وطامتنا الكبرى عبد الله الثاني ملك الأردن حلليف أمن الاحتلال في السر والعلن، والتنسيق الأمني لا يتوقف... وليس أخيراً بل أكثرهم حداثة أحمد الشرع رئيس سوريا فهو رئيس بلا سيادة، تدييه واشنطن وتبقيه في الحكم ما دام يحافظ على أمن يهود، لا قرار له، ولا مشروع، سوى تنفيذ الأوامر وثبتت الأمر الواقع كما تريده أمريكا.

قد يتساءل القارئ: لماذا لا تسقط أمريكا رغم أزماتها؟

سؤال جوابه كمن غرس السهم بيده في قلبه وتركه ينزف ليغذى عليه مصاص دماء طفيلي، بمعنى موسع: رغم ما تعانيه أمريكا من أزمات اقتصادية، وانقسام سياسي، وتفكك اجتماعي، فإنها لا تسقط لأنها تتغذى علينا؛ نفطنا بالدولار يقي عملتها مهيمنة، واحتياطاتنا النقدية تقول ديونها، وصفقات أسلحتنا تعيش مصانعها، وتبعية حكامنا تمنحها شرعية في كل محفل.

باختصار نحن من نبقي الشيطان الأكبر على قيد الحياة يتحكم فينا ويقتلنا ويقبض ثمن قتلنا منا، وإن تسبب في دمار بلد ما، فعلينا أن نعيد بناءه، هل أدركتم إلى أي درجة من الاستغباء والذلة الذي وصلنا إليه من أجل ثلاثة من طواغيت علينا ودمى بيد شيطان أبور عاجز؟!

إن الخلاص لن يأتي من داخل الأنظمة، بل من خارجها؛ من مشروع منافس لها يعيد السيادة، ويجمع الأمة، ويقف نداً للهيمنة الغربية؛ ألا وهو مشروع الخلافة كنظام عالمي عادل، لا شعاراً تاريخياً، فهو الوحيد القادر على وضع حد لهذا الشيطان وقطع جميع الموارد التي تغذيه، فتعيده إلى وضعه الطبيعي كأي دولة أخرى لها كما عليها، مجردة من كل أدوات الهيمنة.

إن من أوجب الواجبات اليوم علينا هو فضح حكامنا وإسقاطهم، والعمل على إقامة دولة الخلافة لتأسيس حكم إسلامي حقيقي يعلن ولاءه للأمة لا للغرب، ويحكم بشرع الله لا بقوانين الاستعمار، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتَلُوا أُولَئِكَ الشَّيْطَانُ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، إنما خارطة طريق، تقسم العالم إلى قسمين لا ثالث لهما: من يقاتل في سبيل الله، ومن يقاتل في سبيل الطاغوت. وكل نظام يحارب الإسلام، أو يحاصر الدعوة، أو يطبع مع الاحتلال، فهو من أولياء الشيطان، وإن لبس قناع الوطنية أو الحداثة.

وختتم الآية بعبارة تزرع اليقين بقوة المؤمنين مقابل كيد الشيطان الضعيف، لأنهم يملكون عقيدة ثابتة راسخة. أما نحن، فأمامنا مشروع عظيم يتهدى للنهوض؛ خلافة راشدة على منهاج النبوة تجمع الأمة، وتكسر القيد، وترد المظالم، وتحمل الإسلام نوراً وعدلاً للعالم. فمن لم يكن لها كان عليها.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

منال أم عبيدة